السَّنة الثالثةُ والثمانون بعد المئة

فيها خرج من الخَزَر خلقٌ عظيمٌ من باب الأبواب، وكانوا مئةَ ألف وملكهم، وكان قد زوَّج ابنتَه من الفضل بنِ يحيى[١]، فماتت في طريقها قبلَ وصولها، فقيل لخاقان: إنَّ المسلمين قتلوها غِيلة، فخرج بهذا السَّبب.

وقيل: إنَّ سعيد بن سَلْم[٢] بن قتيبةَ كان على إرمينية، فقتل المنجِّمَ السُّلمي، فدخل ابنُه إلى الخَزَر فاستنصرهم على سعيد، فخرجوا إلى سور بابِ الأبوابِ فثلموه، ودخلوا إلى بلادِ المسلمين، فأَغاروا عليها، وقُتل من المسلمين وأهل الذِّمَّة مئة ألف، ونكحوا المسلماتِ وبقروا بطونَ الحَبَالى، وذبحوا الأطفالَ في المهود، وسَبَوا خلقاً عظيماً، وفعلوا فعلاً لم يُسمع في الإسلام بمثلهِ، وهرب سعيدُ بن سَلْم، وبلغ الرَّشيد، فجهز الجيوشَ مع خزيمةَ بن خازم، وولَّى يزيدَ بن مَزْيَدٍ أرمينيةَ وأَذربيجان، فساروا، فوجدوا العدوَّ قد رجع إلى بلاده بالغنائم والسَّبايا، فسدُّوا الثُّلْم وأَصلحوا ما أَفسد القوم، ورجع خزيمةُ فأقام بنصيبين رِدءاً ليزيدَ بن مَزْيَد، وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى الهادي.

فصل وفيها توفي

إبراهيم بن سعد

ابن إبراهيمَ بن عبد الرَّحمنِ بن عوف، أبو إسحاقَ الزُّهري.

من الطبقة السادسةِ من أهل المدينة. وأمُّه أَمَةُ الرَّحمنِ[٣] من بني عبد بنِ زَمْعَة، من بني عامر بن لؤيّ.

---

(١) كذا، والخبر مفصل موضح في تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٠، والكامل ٦/ ١٦٣، والمنتظم ٩/ ٨٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨١.

(٢) في (خ): سالم حيثما وردت، وفي المنتظم ٩/ ٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٢٢: مسلم. والمثبت هو الصحيح، انظر التاريخ الكبير ٤/ ١٥٨، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٧٠، والثقات ٦/ ٤٢٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٠٥، والأنساب للسمعاني ٢/ ٦٧، والكامل ٦/ ١٦٣، وبغية الوعاة ١/ ٥٨٤ .

(٣) في (خ): عبد الرحمن، وهو خطأ. انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨٢، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦/ ٦٠١، والمنتظم ٩/ ٨٤، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٦، والسير ٨/ ٣٠٤.

فوَلَدَ إبراهيمُ سعداً ومحمَّداً لأمٍّ ولد، وإسماعيلَ لأمٍّ ولد، ويعقوبَ.

وروى عن الزُّهريِّ، وصالحِ بن كَيْسانَ، والحارثِ وعبدِ الله ابني عكرمةَ وغيرِهم، وكان ثقةً كثيرَ الحديث، وسكن بغداد، وكان على بيتِ المال.

وقال الخطيب[1]: وُلد سنةَ ثمانٍ ومئة. وقَدِم العراقَ على هارون، فأكرمه، وسأله عن الغناء، فأفتاه بتحليله، وكان قد انفرد بأحاديثِ الزُّهري، فأتاه بعضُ أصحاب الحديثِ ليسمعَ منه، فوجده يغنِّي، فدخل عليه فقال: لقد كنتُ حريصاً أن أسمعَ منك، فأما الآنَ فلا أسمعُ منك حديثاً أبداً، فقال له إبراهيم: فإذن لا أفقد إلَّا شَخصَك، ثم حلف وقال: عليَّ كذا وكذا إنْ حدَّثتُ ببغدادَ ـ ما أقمت ـ حديثاً حتى أغنِّيَ قبله.

وبلغ الرشيدَ خبرُه، فاستدعاه وسأله عن المخزوميةِ التي قطعها رسولُ اللهِ ﷺ في سرقة الحُلِيّ[2]، فقال: عليَّ بعود، فقال هارون: عودُ المِجْمَر؟ قال: لا، عودُ الضَّرب، فتبسَّم الرشيد، فقال: لعلك يا أميرَ المؤمنين بلغك حديثُ السفيهِ الذي أَلجأني إلى اليمين، قال: نعم، ودعا له بعُود، فأَخذه ووضعه، وغنَّى فقال: [من البسيط]

يا أمَّ طلحةَ إنَّ البَينَ قد أَزِفا[3] قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرَّحيلُ غدا

فقال له هارون: مَن كان من فقهائكم يكره السَّماع؟ فقال: مَن ربطه اللهُ تعالى، قال: فهل بلغك عن مالكِ بن أنسٍ فيه شيء؟ قال: لا، ولكن حدَّثني أبي أنَّهم اجتمعوا في دعوةٍ لبني يربوع، وهم يومئذٍ جِلَّة وفيهم مالك، فتغنَّى وقال: [من مجزوء الوافر]

سُليمى أَجمعت بَيْنا فأَين لقاؤها أينا
وقد قالت لأَترابٍ لها زُهرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طاب لنا العيشُ تعالينا[4]

---

(١) في تاريخه ٦/ ٦٠٣، ٦٠٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٤٨) و (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) كذا في (خ) وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٧، وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ والبيت له ـ ص٣٩١، والأغاني ١/ ٢٠٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٦٠٦: أفِدا، وكلاهما بمعنى، غير أن الأخيرة أصح للتصريع.

(٤) الأبيات لمحمد بن عائشة كما في الأغاني ٢/ ٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٧.

وضحك هارونُ ووصله بمالٍ عظيم.

أَسند إبراهيمُ عن أبيه سعد، وكان أبوه قاضياً على المدينة. وروى عنه شعبةُ بن الحجَّاج[١] وغيرُه. وأَجمعوا على أنَّه كان ثقة. ودُفن بباب التِّبْن.

عليُّ بن الفُضيل بنِ عياض[٢]

مات في حياة أبيه، وكان عالماً، ديِّناً، صالحاً، خائفاً على حداثة سِنِّه لم يبلغ عشرين سنة، وكان يدقِّق في الورع، ويبالغُ في المطعم، وكان يصلِّي حتى يزحفَ إلى فراشه زحفاً، ثم يلتفتُ إلى أبيه فيقول: يا أَبة، سبقني العابدون.

وبكى يوماً، فقال له أبوه: ما يُبكيك يابُنيّ؟ فقال: أخاف ألَّا تجمعَنا القيامةُ غداً.

وقال سفيانُ بن عُيينة: ما رأيت أخوفَ لله من الفضيل وابنهِ عليّ.

وكان الفضيلُ إذا علم أنَّ ابنه عليًّا خلفه ـ يعني في الصَّلاة ـ مرَّ ولم يَخَف ولم يحزن، وإذا علم أنَّه ليس خلفه تنوَّق في القراءة وحزن وخوَّف. فظنَّ يوماً أنَّه ليس خلفه، فأَتى على هذه الآية: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فخرَّ مغشيًّا عليه، وقيل لأمِّه: أَدركيه، فجاءت فرشَّت الماءَ على وجهه، وجاء الفضيلُ فجلس عند رأسِه، فقالت له أُمُّه: قد علمت أنَّك قاتلُ هذا الغلام. فأَفاق، فمكث حيناً، فظنَّ يوماً أنَّه ليس خلفه، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ـ٢] فخرَّ ميِّتاً.

وقال الخطيب: الآيةُ التي مات فيها هي قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧]الآيةَ. وفي رواية ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وخرج الفُضيل في جنازته وهو متبسِّم، ولم يُرَ متبسماً إلَّا في ذلك اليوم، فقيل له: يموت عليٌّ وتتبسَّم؟! فقال: إنَّ الله تعالى أراد أمراً فأحببتُه. وكانت وفاتهُ بمكَّة. أَسند عن أبيه وسفيانَ بن عيينةَ وعبدِ العزيز بن أبي روَّادٍ وغيرِهم.

---

(١) وهو من شيوخه.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٧، المنتظم ٩/ ٨٥، تهذيب الكمال (٤٧١٠)، تاريخ الإسلام ٤/ ٦٩٤.

محمَّد بن صَبِيح

أبو العباس المُذَكِّر، مولى بني عِجْل، ويعرف بابن السَّمَّاك[١]. من الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة. له المقاماتُ عند الخلفاءِ وغيرهم.

كان يقول: يا ابنَ آدم، إنمَّا تغدو وتروحُ في كَسْب الأَرباح، فاجعل نفسَك ممَّا تكسبه، فإنَّك لن تكسبَ مثلها.

وقال المغيرةُ بن شُعيب: حضرتُ يحيى بنَ خالدٍ البرمكيَّ [وهو يقول] لابن السمَّاك: إذا دخلتَ على هارونَ أميرِ المؤمنين، فأَوجِز ولا تُكثر عليه. فلمَّا دخل عليه، قام بين يديه وقال: إنَّ لك بين يدي اللهِ مقاماً، وإنَّ لك من مقامك مُنْصَرَفاً، فانظر إلى أين يُنصَرَفُ بك، إلى الجنَّة أم إلى النَّار؟ فبكى هارونُ حتى كاد أن يموت.

وقال ابن السمَّاك: مَن امتطى الصبرَ قَوِي على العبادة، ومَن أجمع اليأسَ استغنى عن الناس، ومَن أهمَّته نفسُهُ لم يولِّ مؤنتَها غيرَه، ومَن أحبَّ الخير وفِّق له، ومَن كره الشرَّ جُنِّبه، ومَن رضي الدنيا من الآخرة حظًّا فقد أخطأَ حظَّ نفسه.

وكتب إلى أخٍ له: أمَّا بعد، فإنِّي أُوصيك بتقوى اللهِ الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، فاجعله من بالك [على[٢]] حالك، وخَفْه بقدر قُربِه منك وقدرتِه عليك، واعلم أنَّك بعينه ليس تَخرج من سلطانه إلى سلطان غيرِه، فلْيَعظُم منه حذرُك، وليكثر منه وَجَلُك، واعلم أنَّ الذنبَ من العاقل أَعظمُ منه من الأحمق، ومن العالم أَعظمُ منه من الجاهل، وقد أصبحنا بزعمنا أَدِلَّاء، والدَّليلُ لا ينام في المَفازة، وقد كان عيسى عليه السلامُ يقول: إلى متى تصفون الطريقَ للدَّالجين وأنتم تُقيمون في محلَّة المتحيّرين، تُصفُّون البعوضَ من شرابكم وتسترطون[٣] الجِمالَ بأحمالها. يا أخي، كم [من] مذكِّرٍ بالله ناسٍ لله، وكم من مخوِّف بالله جريءٌ على الله، وكم من داعٍ إلى الله فارٌّ من الله، وكم [من] تالٍ لكتاب الله مُنْسَلخٌ من آيات الله. والسَّلام.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٣، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧، والمنتظم ٩/ ٨٦، والسير ٨/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٥٩.

(٢) زيادة من حلية الأولياء ٨/ ٢٠٦، وصفة الصفوة ٣/ ١٧٥ .

(٣) أي: تبتلعون.

وكان يقول: سَبُعْك بين لَحْيَيك، تأكل به كلَّ مَن مرَّ عليك، قد آذيتَ أهلَ الدُّور في دورهم، وأهلَ القبورِ في قبورهم، ما تَرثي لهم وقد جرى عليهم البِلى وأنت تَنْبُشُهم، إنمَّا نرى نبشَهم أخذَ الخِرَق عنهم، إذا ذكرتَ مساوئَهم فقد نبشتَهم، إنَّه ينبغي أن يدلَّك على ترك القولِ في أخيك ثلاثُ خِلال: أمَّا واحدة، فلعلك أن تذكرَه بأمرٍ هو فيك، فما ظنُّك بربِّك إذا ذكرتَ أخاك بأمرٍ هو فيك؟ ولعلَّك تذكره بأمرٍ هو فيك أعظم، فذلك أشدُّ استحكاماً لمقته إيَّاك. ولعلك تذكُره بأمرٍ قد عافاك اللهُ منه، فهذا جزاؤه إذ عافاك الله؟! أما سمعتَ: اِرحم أخاك واحمد الذي عافاك؟

وكان يقول: مَن أذاقته الدُّنيا حلاوتَها لميله إليها، جرَّعته الآخرةُ مَرارتها لتجافيه عنها.

ومات لهارونَ ولد، فحزن عليه حزناً شديداً حتى كاد أن يموتَ، وامتنع من الطَّعام والشَّراب، فدخل عليه ابنُ السَّماك فقال: [من مجزوء الكامل]

أَفنيتَ عُمْرَك باغترارِكْ ... ومُناك فيهِ بانتظارِكْ
ونسيتَ ما لا بدَّ منـ ... ـه، وكنت أَوْلى بادِّكارك
لك ساعةٌ تأتيك من ... ساعات ليلِك أو نهارِك
فاخترْ لنفسك قبل أن ... تقضيْ وتُزعَج من قرارك[1]

ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، حدَّثني صديقٌ لي كان يسافر إلى بلاد الصِّين، وكان صديقَ ملكِ الصين، قال: جمعتُ له هديةً فاخرة وألطافاً كثيرة، ثم دخلت الصِّين، فوافيته قد مات ولدُه، فدخلتُ عليه، فلم أرَه يكترث ولا يُزعَج لموت ولدِه، فلمَّا خرجَت الجنازةُ إلى الصحراء، إذا بعشرة آلافِ وَصيفٍ ووَصيفة، على أيديهم أطباقُ الذهبِ والفضَّة مغطَّاة بالسُّندس، مُمَنْطَقين بمناطق الذهبِ والفضَّة، قد أحدقوا بالجنازة يُزَمْزِمون حولها، وإذا بعشرة آلافٍ من الرُّهبان والزهَّاد عليهم المُسوحُ والشَّعر، بأيديهم الأناجيلُ وهم يقرؤونها، فأَحدقوا بالجنازة، وإذا بعشرة آلافِ فارس، كلُّ واحدٍ يُعَدُّ بألوف، وهم على الخيول السَّوابق، مدرَّعين بأحسنِ العُدَد

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في المدهش ص٥٢٢ دون نسبة.

والسِّلاح، فأَحدقوا بالجنازة.

وخرج الملكُ يمشي في خواصِّه وأصحابِهِ إلى المقابر، فلمَّا دُفن رجع الملكُ إلى قصره، فجلس واستدعاني، فقال لي: أرأيتَ ما رأيت؟ قلت: نعم، فقال: أما الوصائفُ والوصفاء، فحملوا ما في خزائني من الجواهر واليواقيتِ واللآلئ المثمنةِ التي لا توجد إلَّا في خزائني، فلمَّا أَحدقوا به، زمزموا وقالوا: يا سيِّدَنا، لو أنَّ الذي قبض روحك يقبل رِشوة، لكان فيما معنا من الجواهر واللآلئِ واليواقيتِ والأموالِ كفاية، ولكن الذي قبض روحَك لا يقبل الرُّشا. أرأيت أصحابَ المُسوحِ والشَّعر؟ أولئك عبَّاد بلادِنا ورهبانُهم وعلماؤنا، قالوا: يا ابنَ الملك، لو كان الذي قبض روحَك يقبل شفاعةً، لشفعنا إليه فيك، ولكنَّه لا يقبل، أرأيتَ أصحاب الدُّروع والسِّلاح؟ هؤلاء قوَّاد الملكِ وخواصُّهم، ركبوا خيولَهم وحملوا سلاحَهم وقالوا: لو كان الذي قبض روحَك ممَّن يحارب لَحاربناه، ولكن ممَّن لا يحارب. ثم قال لي: يا مسلم، هل أبقينا بقيَّة؟ قلت: لا.

قال ابن السمَّاك: فلمَّا فرغت من حديثي، قال هارون: لله درُّه من كافرٍ ما كان أحسنَ يقينَه! ثم بكى هارونُ حتى غُشي عليه، فقال بعض خواصِّه لابن السمَّاك: أُرفق بأمير المؤمنين، فقال: دَعْه فلْيمت حتى يقال: خليفةُ اللهِ مات من مخافة اللهِ تعالى.

ونظر ابنُ السمَّاك إلى أقوامٍ عليهم الصوفُ فقال: لَئن كان لباسُكم موافقاً لسرائركم، لقد أَحببتم أن يطَّلعَ النَّاسُ عليها، ولَئن كان مخالفاً لها، لقد هلكتم.

وكان يقول: الذُّباب على العَذِرة أحسنُ من القرَّاءِ على أَبواب الملوك.

وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: مرض ابن السمَّاك، فحملنا ماءً إلى طبيب نصرانيٍّ بالحِيرة، فبينا نحن بين الكوفةِ والحِيرة، استقبَلَنا رجلٌ حسن الوجهِ طيِّب الرِّيح نقيُّ الثياب، فقال: أين تريدون؟ فأَخبرناه، فقال: سبحانَ الله! تستعينون بعدوِّ اللهِ على وليِّ الله! اِضربوا به الأرضَ وارجعوا إلى ابن السمَّاك وقولوا له: ضع يدَك على موضع الوجعِ وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ثم غاب عنَّا. فعدنا إلى ابن السمَّاك فأخبرناه، فوضع يدَه على المكانِ وقرأ الآية، فعوفي من ساعته، فقلنا: مَن ذلك الرَّجل؟ فقال: الخَضِرُ عليه السلام.

ذِكر وفاتِه:

قال لمَّا احتُضر: اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي وإنْ كنت أَعصيك فإنِّي أحبُّ مَن يطيعك، اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أجلسْ مجلساً إلَّا بدأت بالثَّناء عليك وبالصَّلاة على رسولك، وأُحبِّبك إلى خلقك.

قَدِم بغداد، فوعظ هارونَ ثم عاد إلى الكوفةِ فمات بها. وسببُ موته أنَّه رأى الحقَّ تعالى في منامه، فقال له: يا مشعث، إلى متى تدعو الناسَ إلى بابي ولا تحضُرُ أنت بنفسك؟! أَمَا لولا أنَّك جلست يوماً فمرَّ بك وليٌّ من أوليائي فبكى ثم سألني فيك لعذَّبتك. فانصدع قلبهُ فمات.

أَسند عن عدَّة من التابعين، منهم هشامُ بن عروةَ والأعمشُ وغيرُهما، وروى عنه الإمام أحمدُ بن حنبلٍ ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ وغيرُه، وكان ثقةً صالحاً.

موسى بنُ جعفر[1]

ابن محمَّد بن عليِّ بن الحسينِ بن عليٍّ عليه السلام، أبو الحسن، ويلقَّب بالكاظم، والطيِّب، والمأمون، ويُدعى بالعبد الصالح؛ لعبادته واجتهادِه، وأَشهرُ ألقابِه الكاظم؛ لأنَّه كان حليماً. وأمُّه أمُّ ولدٍ أندلسية، وقيل: بربرية، واسمُها حميدة.

وُلد بالمدينة سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وعشرين ومئة، وهو من الطبقة السابعةِ من أهل المدينة.

وكان سيِّداً عالماً فاضلاً، مجابَ الدَّعوة، جواداً، إذا بلغه عن أحدٍ أنَّه يؤذيه بعث إليه بمال، بلغه عن رجلٍ كلامٌ يؤذيه، فبعث إليه بألف دينار. وأَهدى له بعضُ العبيد عَصِيدة[2]، فاشترى الضَّيعة التي فيها ذلك العبدُ والعبدَ بألف دينار، وأَعتقه ووهبها له. وكان كثيرَ العبادة والتهجُّد.

وقال شَقيقٌ البَلْخي: خرجت حاجًّا في سنة تسعٍ وأربعين ومئة، فنزلتُ القادسية،

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ١٤، والمنتظم ٩/ ٨٧، وصفة الصفوة ٢/ ١٨٤، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣، والسير ٦/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٨٤.

(٢) دقيق يضاف إليه ماء يطبخ به، ثم يضاف إليه سمن ولبن محلى بالسكر أو العسل.

فبينا أنا أَنظر إلى الناسِ في زينتهم وكثرتِهم، إذ نظرتُ إلى فتًى حسنِ الوجهِ شديدِ السُّمْرَة، فوق ثيابه ثوبٌ من صوف، مُشْتَمِلٍ بشَمْلَة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلتُ في نفسي: هذا الفتى من الصُّوفية يريد أن يكون كَلاًّ على الناسِ في طريقهم، والله لأَمضينَّ إليه ولأُوبِّخنَّه، فدنوتُ منه، فلمَّا رآني مُقبلاً قال: يا شقيق ﴿يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] و ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾الآية [الحجرات: ١٢] ثم تركني ومضى.

فقلتُ في نفسي: قد تكلَّم على ما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلَّا عبدٌ صالح، لأَلحقنَّه ولأَسألنَّه أن يحالَّني، فأسرعتُ في طلبه، فلم أره، وغاب عن عيني، فلمَّا نزلنا واقِصة[1]، إذا به قائمٌ يصلِّي وأعضاؤه تضطرب ودموعُه تجري، فقلت: هذا صاحبي أَمضي إليه وأَستحلُّه، فصبرتُ حتى جلس، وأقبلتُ نحوه، فلمَّا رآني مقبلاً قال: يا شقيق، أُتل: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] ثم تركني ومضى. فقلت: إنَّ هذا الفتى لَمن الأَبدال، فقد تكلَّم على سرِّي مرتين.

فلمَّا نزلنا زُبَالة، إذا بالفتى قائمٌ على البئر وبيده رَكْوَةٌ يريد أن يستقيَ ماء، فسقطت الرَّكوةُ من يده في البئر وأنا أَنظر إليه، فرأيتُه قد رَمَقَ إلى السَّماء وقال: [من الخفيف]

أنت ربِّي إذا ظَمِئتُ من الما ... ءِ وقُوْتي إذا أردتُ الطَّعاما[2]

اللهمَّ سيِّدي مالي سواها، فلا تَعْدِمْنيها.

قال شقيق: فو اللهِ لقد رأيتُ ماءَ البئرِ وقد ارتفع، فمدَّ يَده فأخذ الرَّكوة فملأها ماء، وتوضَّأ وصلَّى أربعَ ركعات، ثم مال إلى كَثيبٍ من الرَّمل، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الرَّكوة ويحرِّكه ويشرب، فأَقبلت إليه وسلَّمت عليه[3]، فردَّ السلام، فقلت: أَطعمني من فضل ما أَنعم اللهُ به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعمةُ اللهِ علينا ظاهرةً وباطنة، فأَحسِن ظنَّك بربِّك.

ثم ناولني الرَّكوة، فشربتُ منها، فإذا سَويقٌ وسُكَّر، فواللهِ ما شربت قطُّ ألذَّ منه ولا

(١) منزل بطريق مكة، وهي دون زبالة- وسيأتي ذكرها- بمرحلتين. معجم البلدان.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٨٦، وقد ذكر القصة بتمامها.

(٣) في (خ): إليه.

أطيبَ ريحاً، فشبعتُ ورَويت، وأقمت أيَّاماً لا أشتهي الطعامَ والشراب. ثم لم أره حتى دخلنا مكَّة، فرأيتُه ليلةً إلى جنب قُبَّة الشرابِ نصفَ الليل يصلِّي بخشوع وأنينٍ وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليلُ وطلع الفجر، فجلس في مصلَّاه يسبِّح الله، ثم قام فصلَّى الغَداة، وطاف بالبيت أُسبوعاً[١] وخرج، فتبعتُه، وإذا حاشيةٌ ومَوَالٍ، وهو على خلاف ما رأيتُه في الطريق، ودار به الناسُ من حوله يسلِّمون عليه، فقلتُ لبعض مَن رأيته تقرَّب منه: مَن هذا الفتى؟ قال: موسى بنُ جعفرِ بن محمَّد بن عليِّ بن الحسين ابن عليٍّ عليه السلام، فقلت: قد عجبتُ أن تكونَ هذه العجائبُ إلَّا لمثل هذا السيِّد.

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ صالحٍ الأَزْدي: حجَّ هارون، فأتى قبرَ النبيِّ ﷺ زائراً له وحوله قريشٌ وأفياءُ القبائلِ وموسى بنُ جعفر، فلمَّا انتهى إلى القبر، قال هارون: السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ يا ابنَ العمّ. افتخاراً على مَن حوله، فدنا موسى من القبرِ وقال: السلامُ عليك يا أَبَة، فتغيَّر وجهُ هارونَ وقال له: هذا هو الفخرُ يا أبا الحسنِ حقًّا. ثم اعتمر هارونُ في رمضانَ سنة تسعٍ وسبعين ومئة، وحمل موسى معه إلى بغداد، فحبسه بها، فتوفِّي في هذه السَّنة[٢].

وقال الزَّمخشري: كان هارونُ يقول لموسى: خذ فَدَكاً. وهو يمتنع عليه، فلمَّا كثَّر عليه قال: ما آخُذها إلَّا بحدودها، قال: وما حدودُها؟ قال: الحدُّ الأول من فَدَك إلى عَدَن، فتغيَّر وجهُ هارون، قال: والحدُّ الثاني؟ قال: سَمَرْقَنْد، فاربدَّ وجهُ هارون، قال: والحدُّ الثالث؟ قال: إفريقية، فاسودَّ وجهُ هارون، قال: والحدُّ الرابع؟ قال: سِيفُ البحرِ ممَّا يلي الخَزَرَ وإرمينيةَ والشام، قال هارون: فتحوَّلْ إلى مجلسي فلم يبقَ لنا شيء، فقال موسى: قد أَعلمتك بحدودها، فحينئذٍ أخذه وحبسه.

ولمَّا طال حبسُه كتب إلى هارون: إنَّه لن ينقضيَ عني يومٌ من البلاء إلَّا انقضى عنك معه يومٌ من الرَّخاء، حتى نُفضيَ جميعاً إلى يومٍ ليس له انقضاءٌ يخسر فيه المبطلون[٣].

---

(١) أي: سبعاً.

(٢) المنتظم ٩/ ٨٨.

(٣) في (خ): المطلوب، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ١٩، والمنتظم ٩/ ٨٨.

ذِكر وفاته:

توفِّي لخمسٍ بقين من رجب سنةَ ثلاثٍ وثمانين بالحبس ببغداد، ودُفن بمقابر قريش، وقبرُه ظاهرٌ يزار، وأهلُ العراق يسمُّون قبرَه بابَ الحوائجِ إلى الله تعالى.

وقال الحسنُ بن إبراهيم: ما أهمَّني أمرٌ فقصدت قبرَ موسى بنِ جعفرٍ فتوسَّلت به، إلَّا سهَّل اللهُ لي ما أُحبّ.

وقيل: مات سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة. والأوَّل أشهر.

ذِكر أولادِه:

كان له أربعونَ ولداً[١] ما بين ذكرٍ وأنثى: عليُّ بن موسى الرِّضا، والنَّسل له، وزيد، وهو الخارجُ على المأمون، فعفا عنه، وإبراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، والحسين، وعبدُ الله، وعُبيد الله، وإسماعيل، وأحمد، وعُمر، وجعفر، ويحيى، وإسحاق، والعبَّاس، وحمزة، وعبد الرَّحمن، والقاسم، وجعفر الأَصغر، ومحمَّد. ومن البنات: خديجة، وأمُّ فَروة، وأَسماء، وعُلَيّة، والفواطمُ أربع، وأمُّ كلثوم، وآمنة، وزينب: كُبرى وصُغرى، وأمُّ عبد الله، وأمُّ القاسم، وحليمة، وأسماءُ الصُّغرى، ومحمودة، وأُمامة. والكلُّ ـ الذكورُ والإناث ـ لأمَّهات أولادٍ شتَّى.

مات وسنُّه سبعٌ وخمسون سنة، وقيل: ستُّون، وقيل: إحدى وستُّون سنة، وقيل: ثلاثٌ وخمسون سنة[٢].

أسند الحديثَ عن أبيه وجدِّه[٣] عن آبائه الطَّاهرين ﷺ أجمعين.

موسى بنُ عيسى

ابن موسى بن محمَّد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس.

وَلِيَ الحرمين واليمنَ ومصرَ والكوفةَ ودمشق. وحجَّ بالناس سنةَ ثمانين أو اثنتين

---

(١) سيذكر المصنف أسماء تسعة وثلاثين ولداً، وانظر السير ٨/ ٢٧٤، وجمهرة أنساب العرب ٦١.

(٢) هذه الأقوال غير متطابقة مع ما ذكر من ولادته ووفاته، والراجح أنه عاش خمساً وخمسين سنة كما ذكر الذهبي في السير ٦/ ٢٧٤، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ٩٨٦.

(٣) كذا، ولعلها: عن جده؛ لأن موسى بن جعفر لم يدرك جده محمَّداً الباقر رحمة الله عليهم.

وثمانين ومئة.

ووعظه ابن السمَّاك وقال: لَتواضُعُك في شَرَفك أحبُّ إلينا من شرفك.

وكانت وفاتُه في رجب هذه السنةَ وله خمسٌ وخمسون سنة. وقيل: مات سنةَ اثنتين وثمانين، وقيل: سنةَ تسعٍ[1] وثمانين ومئة، رحمه اللهُ تعالى.

يحيى بنُ حمزة بنِ واقِد

أبو عبد الرَّحمنِ الحَضْرَميّ. قاضي دمشق. أصلُه من بيت لَهْيا[2]. ولد سنةَ اثنتين أو ثلاثٍ أو ثمانٍ ومئة.

وهو من الطبقة الخامسةِ من أهل الشام، وكان كثيرَ الحديث صالحَه، ولمَّا قدم أبوجعفرٍ دمشقَ سنة ثلاثٍ وخمسين، استعمله على القضاءِ، وقال له: يا شابّ، إنِّي أرى أهلَ بلدك قد أَجمعوا عليك، فإيَّاك والهديَّة. فلم يزل قاضياً عليها حتى مات.

وقيل: تأخَّرت وفاتُه عن هذه السَّنة.

أسند عن الأوزاعيِّ والثوريِّ وغيرِهما، وروى عنه الوليدُ بن مسلم وهشامُ بن عمار وغيرُه، واتَّفقوا على صِدقه وثقتِه ووَرعه.

(١) صوابه: سبع، كما في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٩٨ (مخطوط)، ومختصره ٢٦/ ٧.

(٢) وهي قرية بالقرب من دمشق، وانظر في ترجمته تاريخ دمشق ١٨/ ٥٧ (مصورة دار البشير)، والسير ٨/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٩٨.